– وما أنا وذاك؟

– لقد جلبوا منه آلافًا فسمَّنُوها في مُرُوج الشام، ثم ساقوها معهم إلى الميدان.

– يريدون أن يحاربونا بالجاموس؟

– لست أمزح يا لوكاس!

– فماذا إذن؟

– يتَّخِذون من لحومها وألبانها طعامًا.

– ومن أين لهم هذا الجاموس؟

– جلبوه من الهند.

– وأين هم من الهند؟!

– إنَّ الهند قد صارت منذ بعيد — يا أبلَهُ — تحت حكم العرب.

– قد غَلَبَ العرب إذن يا موريس وملكوا حاضرة قُسطنطين.

– أراك قد انهزمت من أول جولة يا لوكاس!

– وماذا تُجدِي المقاومة؟

– لو كان العرب يحاربوننا بهذه الروح ما انتصروا قَطُّ في معركة.

– تريد أن أقاوِم بلا رجاء؟

– نعم، حتى تموت.

– ويُكتَب في لوحٍ على قبري: مات منتصِرًا؟ …

– ليس ذلك هو كل شئ؛ إنَّ الحياة المجيدة لا تُوهَبُ للجبناء.

– لستُ جبانًا.

– معذرةً … لم أقصد إساءتك.

– فما قصدتَ إذن؟

– إنَّ الذي يكافح عن حقِّه حتى يموت يهبُ حياةً لكثيرين من ورائِه؛ لأن كل طعنة تناله كانت مُسَدَّدَة إلى واحدٍ ممن خَلْفَه، فلقي عدة طعنات عن عدة أحياء، ومات موتةً واحدة، فقد ربحَتْ صفقتُه إذن!

– وما النتيجة؟

– أراك لم تفهم بعد!

– ولا أظن أحدًا يفهمُ أنَّ الموت صفقةٌ رابحة.

– زِن حياتَك بحياةِ الجماعة.